بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ نعمة الله عزَّ وجل علينا بهذا الدين نعمةٌ عظيمة ومنَّةٌ جسيمة؛ فإنَّ الله عز وجل يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات]. وبهذا الدين حُفظت لأهل الإيمان عقولهم وأخلاقهم وأموالهم وأعراضهم وطابت حياتهم؛ ألا ما أعظمها من نعمة وأجلَّها من منَّة، فلله تبارك وتعالى الحمد أولًا وآخرا، وله الشكر ظاهرًا وباطنا.

وإذا كان دين الإسلام قد حفظ لأهل الإيمان عقولهم وأعراضهم وأخلاقهم وتعاملاتهم فإن ثمة أمورًا هي أبوابٌ للشر ومداخل للفساد ومواطنٌ للعطب إذا ولج منها الإنسان فسد عقله وضاع دينه وانهدم خُلقه ووقع في أنواعٍ من الدنايا وسيء الأمور ورديئها.

وثمة آفةٌ خطيرة وبليةٌ كبيرة ورزيةٌ عظيمة، من ابتلي بها فقد اجتمعت فيه الآفات كلها والشرور جميعها والخبائث بأصنافها وأنواعها؛ إنها الخمر الخبيثة وكذلكم ما كان مثلها أو أشد منها من المفترات والمخدرات.

ولنتأمل في هذا المقام الخطير كلامَ الرحمن وخطاب المنان لأهل الإيمان تحذيرا من هذا الجرم العظيم والذنب الكبير قارنًا له تبارك وتعالى بأمهات الآثام ومبيِّنًا سبحانه أنه عملٌ من أعمال الشيطان وأن فيه صداً عن ذكر الله وإقام الصلاة وغيرِ ذلكم من أعمال الإيمان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة].

قُرنت الخمر بالأنصاب - وهي الأصنام التي كان يعبدها أهل الجاهلية - بل قُرنت بأعمال الجاهلية وشنائعهم وعظائم أعمالهم؛ وذلكم لما يترتب عليها من آفاتٍ خطيرة وأضرارٍ جسيمة، بل صح في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «مَنْ لَقِيَ اللهَ

وَهُوَ مُدْمِنُ خَمْرٍ لَقِيَهُ كَعَابِدِ وَثَنٍ»(١)، وما ذلكم إلا لشناعة تعاطي الخمور وما شاكلها وما هو كذلكم أشد منها من المفترات والمخدرات، وأن من علِق قلبه بها وشغف بتعاطيها جرَّت عليه من صنوف البلايا وأنواع الرزايا ما لا حدَّ له ولا عدّ، بل صح في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»(٢).

ولقد وقف الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيباً في الناس يوما محذِّراً من الخمر ومبيناً آفاتها وأضرارها فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، فإنه كان رجلٌ فيمن كان قبلكم مقبلاً على العبادة ومعتزلاً النساء فعلِقَته امرأة فأرسلت له جارية تدعوه إليها للشهادة، فجاء ليشهد فكانت الجارية كلما دخل من باب أغلقته حتى دخل وأفضى إلى امرأة وضيئةٍ جميلةٍ حسناء، وإلى جنبها غلام، وإلى جنبها أيضا وعاء خمر؛ فخيَّرته بين أحد أمورٍ ثلاثة: إما أن يقع عليها، أو أن يقتل الغلام، أو أن يشرب كأسًا من خمر، فاختار الرجل أن يشرب كأسًا من خمر، فلما شرب الكأس قال: زيدوني آخر، فلما شرب الآخر سكِر فوقع على المرأة وقتل الغلام. قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فاجتنبوا الخمر فوالله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في قلب رجل إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه(٣).

إن آفات الخمور وأضرار المخدرات على الأفراد والشعوب والجماعات لا حد لها ولا عد؛ فهي كما قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ» وكما قال عثمان: «أُمُّ الْخَبَائِثِ» بمعنى أن متعاطي الخمور والمخدرات يجلب على نفسه بتعاطيها كل آفةٍ وكل شر، ويجلب على مجتمعه وعلى أهله وأبنائه وأسرته الشرور المتنوعات والآفات الكثيرات.

* فكم فيها من صدٍّ عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ وإبعادٍ عن العبادة وصرفٍ عن الطاعة وإيقاعٍ في المعاصي والمحرمات، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

(١): أخرجه ابن حبان (٥٣٢٣) عن ابن عباس، وصححه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٦٤).
(٢): أخرجه الحاكم (٧٣١١) عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٨).
(٣): أخرجه النسائي (٥٦٦٦)، وصححه الألباني في تعليقه على «المختارة» (٣٢٠).

وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة].

* وكم فيها من جلبٍ للشرور ونشرٍ للعدوان وإشاعةٍ للجريمة؛ فمن وضع قدمه في طريق المخدرات فقد وضع قدمه في طريق الإجرام، فإن المتعاطين للمخدرات من أعظم الناس سلوكا لطريق الجريمة بأنواعها من قتلٍ وسرقاتٍ واغتصابٍ إلى غير ذلك من أنواع العدوان.

* وكم في تعاطيها من جناية على الأسر المستقرة فإذا وُجد في الأسرة من يتعاطى المخدر ولاسيما رب الأسرة فإنه يجني على أسرته جناية عظيمة، فكم تشتت من أسر وكم تفرَّق من أبناء وكم وقع من خلع وطلاق بسبب هذه الآفة الخطيرة والبلية العظيمة.

* وفي تعاطي المخدرات نزعٌ للحياء، بل إن المخدر ينتزع الحياء من متعاطي المخدِّر انتزاعًا شديدا، ولا تسأل عن هلكة رجل ذهب حياؤه، و«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(٤).

* وفي تعاطيها قتلٌ للغيرة التي فيها حمايةُ العرض وصيانةُ الفضيلة، بل أصبح بعض من يتعاطى المخدرات لا يبالي بأن يعرِض عرضه من أهلٍ أو أختٍ أو بنت في سبيل نيل شيء من المخدرات أو الأموال التي يشتري بها المخدرات.

* وكم فيها من قتلٍ لطموحات المرء وهمَّته، حتى إن المتعاطي يصبح لا همَّ له في هذه الحياة بعد أن يتناول جرعةً من المخدر إلا على الحصول على جرعة أخرى، لا همَّ له إلا ذلك.

وكم وكم من الأضرار العظيمة والجنايات الجسيمة التي تترتب على تعاطي المخدرات من فساد وشرور وأضرار متنوعات.

* أما العقوبة لمن يتعاطى المخدر والمسكر يوم القيامة يوم يقف بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ فما أعظمها وأفظعها، وقد جاء في ذلك أحاديث متكاثرات عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصحًا للأمة وتحذيرًا للعباد، فقد جاء في مسند الإمام أحمد(٥) حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللهَ كَعَابِدِ وَثَنٍ»، وثبت في سنن ابن

(٤): أخرجه البخاري (٦١٢٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥): (٢٤٥٣)، وصححه الألباني لغيره في «الصحيحة» (٦٧٧).

ماجة[٦] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ»، وثبت في صحيح مسلم[٧] من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟» قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

أيها الشاب: إن كنت في عافيةٍ من هذا الأمر فاحمد الذي عافاك، وسلْه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يثبِّتك على هذه العافية، وأن يعيذك من هذا البلاء، وأن يحفظ لك دينك، وأن يعيذك من أبواب الشر والفساد، واحذر هذا الطريق ولاسيما البدايات، فإن البدايات لها ما وراءها من النهايات الأسيفة والمآلات المؤلمة.

ويا أيها الشاب إن كنت وقعت في شيء من ذلك فتدارك نفسك بتوبةٍ نصوح وعودةٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإياك ثم إياك أن تتمادى في هذا الطريق فإن عاقبته عليك في دنياك وأخراك وخيمةٌ وجسيمة.

واعلم أننا في هذه الحياة في دار ابتلاء وامتحان، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يبلو العباد في هذه الحياة بأنواع من الابتلاءات؛ فعلى العبد أن يتقي الله ﷻ وأن يكون أولى أولوياته وأهم أموره في حياته أن يعمل على حفظ دينه وصيانته من كل مفسدٍ أو مبطل، وليكن في ذلك مستعينًا بالله تبارك وتعالى طالبًا مدَّه وعونه وتوفيقه.

والواجب على الآباء وأولياء الأمور والمربين ملاحظة أبنائهم ورعاية أولادهم وتحذيرهم من هذا الشر المستطير، ولقد حرص المروِّجون - قاتلهم الله أنى يؤفكون - على إفساد أبناء المسلمين لأن هذه الآفة الخطيرة إذا جُرَّ إليها الحدَث أو الصغير وجُرَّ إلى فعلها لمرة واحدة كان ذلك سببًا للتوغل والدخول في أعماق الفساد - حمانا الله وإياكم -.

ويا أيها الدعاة الناصحون ترفقوا بالمبتلين وتلطفوا في نصحهم ودعوتهم لعل صدورهم تنشرح ونفوسهم تُقْبِل؛ أورد الإمام ابن كثير رحمه الله في أوائل تفسير سورة غافر[٨] عن الخليفة

(٦): (٣٣٧٦)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٨).
(٧): (٢٠٠٢).
(٨): «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٢٨).

الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبراً في قصة رجلٍ من أهل الشام كان يَفِد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ففقده عمر فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابع في هذا الشراب. قال: فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: «من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان، سلام عليك، أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير». ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبِل بقلبه، وأن يتوب الله عليه . فلما بلغ الرجل كتابُ عمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي.

وذكر في رواية: «فلم يزل يُرَدِّدها على نفسه، ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر رضي الله عنه خبرهُ قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زل زلَّة فسددوه ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه»

فتأمل - رحمك الله - هذا الصنيع الجميل الذي صنعه هذا الخليفة الراشد في شخصٍ بدأ في أول الطريق في تعاطي الخمور والوقوع فيها؛ فجمَع له بين الأمرين:

الأمر الأول: النصيحة البليغة والموعظة المؤثرة.

والأمر الثاني: الدعاء له وحث إخوانه المسلمين بأن يدعو الله له بأن يقبِل بقلبه.

نسأل الله جل في علاه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ أبناءنا وبناتنا، وأن يعيذهم من الشرور، وأن يحفظهم بما يحفظ به عباده الصالحين، ونسأله جل في علاه أن يقبِل بقلوب المبتلَيْن بهذا الذنب أو بغيره إليه، وأن يهديهم إليه صراطًا مستقيما وأن يهدي ضال المسلمين وأن يردهم إلى الحق رداً جميلا. إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

www.al-badr.net

أضرار الخمور والمخدرات

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبعت على نفقة بعض المحسنين جزاهم الله خيرًا